تشظي الهويـة وانشطارها في روايـة العودة إلى جذوري البدويـة لسيف شمس الدين الآلوسي

م.د. محمد انور اسماعيل
قسم اللغة العربية/ كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية

fragmentation of Identity and fission in the novel"Return to my Bedouin roots" by Saif Shams El Din Alousi the department of Arabic language

college of basic education / al-Mustansirihy University
Mohamed Anwar Ismail (phd)
imadfadhil@gmail.com

Abstract :

This study of fragmentation of Identity and fission in the novel"Return to my Bedouin roots" by Saif Shams El Din Alousi deals with the problem of identity and affiliation in Arab communities, especially in Bedouin communities. The civilized people in Arab novels suffer severely from this conflict. The protagonist of the novel suffers from a strong inner conflict between his original Bedouin identity and his modern civilized one. This inner conflict causes fragmentations and contradictions in the identity of the protagonist. The novel evolves around these contradictions of identity which causes duplication in the personality of the protagonist, and that was reflected by his manner of talking, his pattern of behavior, and his attitude towards himself and others.

الملخص:

تأتي هذه الدراسة والموسومة ب(تشظي الهوية وانشطارها في رواية العودة الى جذوري البدوية) للكاتب سيف شمس الدين الالوسي لتعالج قضية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية وتحديدا في مجتمع البداوة والصحراء وهو صراع تعاني منها الشخصيات المثقفة في الروايات العربية فشخصية هذه الرواية تقع في صراع نفسي حاد بين الانتماء للهوية الاصلية(البداوة) وبين اكتساب هوية جديدة(المدينة) والتحضر ومن ثم نلاحظ حالة التشظي والانشطار والتناقض في هوية البطل فخطاب الهوية في الرواية قائم على هذه الضديات الامر الذي يؤدي الى حدوث عملية الازدواج في شخصية البطل بين البداوة وعدم ترك الاصل وبين التمدن والرغبة في الانسجام مع المدينة وهذا مما انعكس على تصرفاته واسلوب كلامه مع الاخرين ومع نفسه اولا.

توطئـــــــة:

الحديث عن الهوية موضوع واسع ومتداخل بين الدارسين والباحثين في المجالات الثقافية والمعرفية والاجتماعية والفلسفية والنفسية، وقد استُعملت قديماً عند الفلاسفة فهي" المنحوتة من الضمير (هو) بوصفه مقابلاً للفظة إستين (في اليوناني) للدلالة على وجوه المعنى الذي أقرّه ارسطو لمفهوم الوجود"[1]، فهي تدل على معنى الوجود في فلسفات ما بعد الطبيعة عند ابن رشد، والفارابي، والكندي، المأخوذة من اليونان، أي انها تدل على معنى الذات والكينونة أولاً، ثم انها تحولت إلى معنى الانا المفكر عند كانط ثانياً، ثم خرجت عند ديكارت إلى الهو المطابق ثالثاً، وأخيراً عند هيغل إلى الهو المغترب أو الهو الزائل[2].

وقد جرت على لفظة الهوية عدة انزياحات عبر الزمن من (" هُو" نحوي إلى" هو" منطقي إلى" هو هو" انطولوجي، ومن ثمّ إلى" هُوية" انطولوجية في الفلسفة العربية الكلاسيكية، إلى" هَوية" انثروبولوجية وثقافية في نظام الخطاب السوسيولوجي – التاريخي – اللاهوتي المعاصر."[3].

ويعلل فتحي المسكيني سبب ذلك الانزياح للفظة الهوية من معناها المعروف عند الفلاسفة القدامى الى دلالتها الحديثة بأنه ليس بالخطأ الاصطلاحي وانما يرجع إلى استعمال بنية كلمة الهوية من معناها النحوي إلى المعنى الانطولوجي لها[4].

والهوية مصطلح حديث ومعاصر، يدخل في اطار العلاقات الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، بل حتى النفسية منها، من خلال علاقات متداخلة بين الذات أو الانا والاخر، فهي" جملة من العلاقات والروابط العقلية (اجتماعية – اقتصادية – ثقافية...) نسجها تطور تاريخي محدد في الزمان والمكان، قاصدة أبعاداً ثلاثاً هي: علاقة الذات بالموضوع، بالعالم الطبيعي والاجتماعي، وعلاقة الآنا بالآخر وتنطوي على المحاكاة والاقتداء... ويقابلها الاستقلال والذاتية، وهي في هذه الحيثيات جميعها وحدة الوعي والوجود الفكر والواقع التماثل والاختلاف؛ الوحدة والتعدد والمؤسَّسة جميعها على مبدأ النفي الحامل فكرة التاريخ ومفهوم التقدم"[5]، ويرى عبدالله الغذامي بأن الهويات تعطي معنىً ثقافياً، وهي احدى مصطلحات ما بعد الحداثة وسمة من سماتها الأساسية[6]، وقد تتداخل الهوية بين معناها النفسي وهي الذات الباحثة عن الوجود والمعنى الاجتماعي من خلال تثبيت حضورها داخل المجتمع فهي" تقاطع بسيكولوجي (هَمُّهَا الرّغبة في الوجود) وسوسيولوجي (هَمُّهَا التموضع داخل الاجتماع)"[7]، أي ان الفرد عندما يحاول الحفاظ على هويته فأنه يقع في اشكالية نفسية واجتماعية أي يدخل في صراع بين الآنا أو الذات الراغبة في الوجود وبين المجتمع الذي يفرض عليه التزامات معينة، واذا فشل في التوفيق بين هاتين الحالتين فأن الهوية تتعرض الى الانشطار والتشتظي، ويصبح الفرد فاقداً لهويته ولوجوده وكينونته، فالهوية قد تتشظى وتتغاير وتتناقض وتختلف وهذا هو ديدن الهوية" فقدر الهوية ان تحيا منثنية على انشطارها إلى" هُويّة التشابه والثبات والجماعة" و" هُوية الاختلاف والتعاكس والغيرية")[8].

فالتناقض والاختلاف والغيرية والانشطار والتشظي هي سمات الهوية، ومن دونها تصبح الهوية مجردة من الشعور والانتماء.

ويمكن ان نحدد ثلاثة مستويات للهُوية، وعلى ضوئها تتحرك الهوية داخل أي مجتمع، الأولى هي الهوية الذاتية أو الشخصية، وهنا تتفاعل وتكوِّن علاقة من الآنا، وهي مستقلة وذاتية، والثانية هي الهوية الاجتماعية المتموضعة داخل المجتمع، وتجمع بين هويات أخرى متعددة مثل الثقافية، والعادات والتقاليد، والثالثة هي الهوية القومية التي تتموضع داخل الامة الواحدة في مقابل الأمم الاخرى[9].

واذا ما أخذنا المفهوم الفلسفي للهوية، لوجدناها تنحصر بين الانتماء والالتزام، والانضباط، وانها مستقلة في ذاتها، إذ يرى فتحي المسكيني ان الهوية لا تزال لا تملك ذاتاً أي لا تملك شخصية واضحة المعالم، فالهوية" ليست مجرد شعور خاص بهذا الشخص أو ذاك، بل هي جهاز انتماء أو لا تكون. ومثل كل جهاز، لا يمكن لأي هوية ان تعمل في افق روحي ما اذا لم تكن تملك شكلاً معيناً من الالزام وفناً معيناً من الانضباط، ليس

هناك هوية غير ملزمة، بل كل هوية هي لا تعدو ان تكون تاريخها الخاص، وقد تحوّل إلى جسد من العلامات المستقلة وكل هوية تؤرخ لنفسها بطريقة ما، سرعان ما تتقلب إلى قدر بلا أي امكانية للمراجعة"[10].

وقد تتداخل الهويات مع بعضها في أي مجتمع، لتكوّن ما يعرف بصراع الانساق، أو نسقية المعارضة، كما حددها عبدالله الغذامي *، ويذكر الاخير تقسيمات كاستلز للهويات وجاءت على ثلاثة أقسام هي: (الهوية المشرعنة والمقاومة والمصممة)[11]، فالهوية المشرعنة تخص المؤسسات المهيمنة والمسيطرة داخل المجتمع أي السلطوية ويكون القرار بيدها، أما الهوية المقاومة فهي المعارضة لسلوك الهوية الأولى، ويغلب عليهم صفة الهامشيين، واما الثالثة فهي المصممة أو الفعالة التي تسعى إلى تغيير الواقع الذي اقامه النوع الأول[12].

والهويات تعبر عن نفسها مثل الانتماء، والعرق، واللون، واللغة والمعتقد عند مختلف الاقوام، والاجناس في العالم، فنحن لا نعرف طبيعة أي مجموعة بشرية معينة، إلاّ من خلال هذه الصفات، وهنا يأتي تحديد الهوية على أساس هذا المفهوم بأنها مختزل ومدلول لغوي، وثقافي، واجتماعي لفئات المجتمع، فهي نسق اجتماعي قد يكون مضمراً، ولكنه موجود في تصرفات وسلوك تلك الجماعات، والذي يحصل دائماً بأن هناك اناساً يتمسكون بهويتهم الاصلية، ويعتزون بها، ويتفاخرون بانتمائهم لهذه الطبقة أو تلك، وفي المقابل نجد اناساً يرفضون هوياتهم، ويتخذون من هويات أخرى بديلة، أو يحاولون ان يكوِّنوا هويات جديدة لهم، وهذا ما نراه في رواية" العودة إلى جذوري البدوية" * للكاتب سيف شمس الدين الآلوسي، الذي يرصد لنا من خلال شخصية هلال البدوي ذلك النموذج من الاشخاص الذي تجرد من هويته البدوية، واتخذ من المدينة هوية جديدة له، فالثيمة الأساسية في الرواية، هي محاولة الشخصية التخلص ورفض هويته البدوية والرغبة بعدم الانتماء الى الصحراء، على الرغم ان سكان البدو هم أكثر المجتمعات التزاماً وانتماءً لهويتهم واصالتهم.

التناقض وتداخل الهويات:

ان التناقض سمة من سمات وجود الهوية، ولا يمكن للهوية ان تظهر وتتفاقم، وتتطور اذا لم يكن هناك تخالف وتضاد، وهنا نستحضر رأي الناقد ادوارد سعيد عندما تحدث عن الهوية، ووجودها فلا يمكن للهوية ان" توجد بمفردها ومن دون ثُلة من النقائض، والنوافي والاضداد"[13]، اي ان الهوية لا تعمل ولا تتكون بمفردها من دون ان توجد هناك اشياء مختلفة تساعد على وجودها وظهورها في المجتمعات، فالهوية قائمة على ثنائية الجدل بين الذات (الآنا) والآخر، فخطاب الهوية كما يبدو هو خطاب متفرع ومتشابك ؛ لأنه" يتحرك في مجالات متعددة"[14].

فالهوية السردية للأفراد، هي هوية متغيرة، ومتناقضة، ومتداخلة، فمثلاً نرى تداخل الهوية البدوية والحضرية عند شخصية هلال بطل رواية العودة إلى جذوري البدوية فهو يحمل شخصيتين متناقضتين بين البدوية والحضرية مما يؤدي إلى حدوث صراع نفسي حاد ومرير عند الشخصية، يقول هلال مصرحاً بهذا التناقض" اني عبارة عن شخصين متناقضين، متناقضين في كل شيء، اني عبارة عن شخص بدوي وآخر حضري، ألبس ملابس مختلفة، ومساكني مختلفة ولهجتي مختلفة، اذا أتيت إلى هنا اتكلم بلهجة بدوية واذا ذهبت إلى المدينة اتكلم بلهجة بغدادية، تعرف اني اتكلم أكثر من لغة، تعلمت عدة لغات مختلفة ولم تؤثر لكنتي البدوية على هذه اللغات ولم تؤثر اللغات

على لكنتي الأم"[15]، فهذا التناقض والتداخل يولّد في نفسية الانسان صراعاً داخلياً نفسياً مريراً تصل لدرجة المرض، والتعقيد يقول هلال:" عشت صراعاً داخلياً طوال السنين المنصرمة ولم أصل لحل وسطي، لكوني ارغب ولا ارغب، احب ولا احب، لم يعد لدي هناك فارق في الطعم ما بين الشهد والحنظل وبين الأبيض والاسود والليل والنهار، الكل متساوية وجميعها لها طعم ولها مذاق ولها لون وقت، أما انا فليس لي شيء، اسمع إلى كلامي ! كم هو متذبذب ومتقلب، انه ليس كلام ولكنه شعور ناطق، هذا ما اشعر به"[16].

ان دور الهوية، ووظيفتها بحسب تعبير الغذامي الذي نقله عن بومان، ان تصنع التناقضات، والاختلافات، والتمييزات في اللغة من خلال اختلاف اللغات بين الشعوب أو في داخل الشعب الواحد، وفي العرق والمعتقد من خلال تباين المعتقدات والاجناس والقوميات وهذا موجود في كل المجتمعات وهو أمر طبيعي وواقعي، وتنتهي بالتناكر والاختلاف ولا تصل إلى درجة التآلف والاندماج[17].

فالتناقض والتغاير واضح وموجود في شخصية هلال فهي شخصية نامية ومتطور ولا تثبت على حال، وقد عاش في وضعين مختلفين بين الحياة البدوية وهي بيئته الاصلية والمركزية، أو بين حياة التحضر والتمدن، وانكار الذات، فهو يحاول الانتماء إلى الحياة الجديدة، ولكنه يفشل ويعزل نفسه ؛ لأنه بحسب تعبيره يحمل افكاراً مغايرة ومناقضة لأفكار مجتمعه، وهذا الأمر كان واضحاً من خلال حديثه مع نفسه قائلاً:" يريد من احد ما مساعدته وانه ما زال يشعر بأنه لا يوجد هناك من يفهمه ويفهم شعوره لأنه عاش حياتين مختلفتين كالاختلاف ما بين الابيض والأسود، والحار والبارد والخشن والناعم، لكنه رغم ذلك قد جمع الابيض والأسود والحار والبارد والخشن والناعم في شخصية واحدة، فتشكل لديه صراع داخلي بين هذه المتضادات، ساعة يتوق للحياة الحضرية وساعة أخرى يتوق لحياته البدوية،... فرغم محاولاته للانضمام معهم إلا انه يتوق للعزلة بمفرده لأنه يحمل افكاراً مغايرة لأفكار مجتمعه"[18].

لقد ولد هلال بين ربوع الصحراء ومتاهاتها، وبين الحيوانات واسرارها ولكنه عاش حياته المدرسية، وتلقى التعليم في المدينة، وهنا بدأت مشكلته وصراعه المرير من خلال بحثه عن هويته الضائعة ولكنه يقع في التناقض والاختلاف الذي يؤدي إلى التشظي وانشطار هويته يقول:" لا اشعر بانتمائي للصحراء رغم ولادتي بها، اشعر بأني حضري، حضري في الملبس والمأكل في الأحاديث والمجالس، لكن هذا الشعور هنا فقط فحينما ادخل في الحياة الحضرية اتوق للعودة لجذوري البدوية، اشعر بأني اكذب على نفسي"[19].

من خلال هذا الحديث نرى حالة التناقض عند هلال وعدم الاستقرار في تحديد هويته، فعندما يكون في المدينة يرغب في الرجوع إلى جذوره البدوية والعكس يحصل كذلك.

ان شعور الشخصية بالتناقض هو أساس تشظي الذات وانشطارها، وان أهم أسباب ضياع الذات وتشظيها هي زعزعة النفس، وفقدان الثقة، وهذا الأمر واضح عند هلال الذي يحاول ان يعيد ثقته بنفسه، ولكنه يفشل في كل مرة على الرغم من كل النجاحات التي حققها في حياته ووصوله إلى المناصب العليا، ولكنه لم يحقق أهم شيء الا وهو ثقته بنفسه واثبات وجوده وكينونته" أردت اتخاذ قرارا خطيراً، اريد تقرير مصيري، اريد مواجهة الحياة لأستعيد ثقته بنفسه بعد ان فقدها في أول يوم من دخوله في المدرسة ولم يستجدها ليومنا هذا، رغم شغلي المناصب

الرفيعة ودخولي القصور ولقائي مع أغلب رؤوساء العالم وكنت وما زلت ألفت انظار الجميع لثقافتي الواسعة، حتى وكل لي مؤخراً منصب السفير، رغم كل ذلك لم استطع رد ثقتي بنفسي"[20].

وكلما اندمج هلال في الحياة الحضرية، أحس بعدم انتمائه لبداوته وكرهه لها، وقد بدأت مظاهر التغيير تظهر عليه بعد انهاء دراسته الابتدائية، فكل شيء قد تغير فيه شكله واسلوبه وطريقة كلامه، ولهجته، وهذه هي مظاهر تحول هوية الشخص يقول:" تغير شكلي وتغيرت ملابسي، كل شيء قد تغير الا شيء واحد لم يتغير ليومنا هذا هو شعوري الداخلي لم يتغير... شعوري بالنقص وعدم المفاخرة ببداوتي"[21]، هذا النص يدل بشكل واضح لا يقبل الشك، انشطار هوية الشخصية، وشعوره بالنقص من اصله، وبداوته وتشظيها إلى منطقتين الأولى المنطقة الخارجية، والمتمثلة في شكله ومظهره، وطريقة كلامه الدالة على مدينته، وهذه ممكن ان تخدع الآخر وتمكنه من تحديد هوية الشخص من خلال مظهره، أما الأخرى فهي المنطقة الداخلية أي شعوره الداخلي تجاه هويته المركزية، ورفضها بشكل واضح وهذه لا تستطيع خداع الآنا ويقودنا هذا الشيء إلى حدوث التناقض، والشعور بالازدواجية والاختلاف.

ان شعور الشخصية بالنقص من هويته الأصلية حدثت في اليوم الأول له في المدرسة، ويبدو ان هذه الحادثة كانت السبب المباشر لتشظي الهوية، وفقدان الثقة بالنفس والاحساس بالتناقض وهو يصرح بهذا قائلاً:" على الانسان ان يراجع ذاته يومياً ويصلح من اخطائه، لم اقف مع نفسي يوماً مثلماً وقفت معها في هذه الأيام... ولم اعاني من كل هذا الارهاق، ولربما أصبحت لدي الثقة بالنفس وهي الوحيدة التي لم اتعلمها، تعلمت اشياء كثيرة إلا الثقة بالنفس، تعرف لماذا ؟ لأنني فقدتها منذ صغري، القي جل لومي على الأول الابتدائي، لو اجتزت طفولتي من دون الاحساس بالنقص لوقفت على جسر لندن ولجمعت الملأ وقلت لهم انا هلال نايل شاهين، انا هلال البدوي، اصلي بدوي ومن الصحراء وما زلت اعيش في ربوعها"[22]، ان هذا التصريح المباشر من الشخصية حول ما يشعر به وما يعانيه من نقص تجاه اصله وهويته ما هو إلّا دليل على حالة التناقض الشديد الذي يعانيه، ويتضح ذلك أكثر من خلال تثبيت هويته في ذاته عن طريق الأب الذي كان يذكره دائماً بأصله، وبداوته، وانه ينبغي عليه الحفاظ على هذه الهوية، ويبدو ان هذا قد سبب للشخصية حالة من الارباك والتناقض في تصرفاته وكذلك بين حفاظه لهويته أو رفضها واثبات للآخرين انه رجل متحضر يقول:" أصبح منذ ذلك الرحيل يخشى الموت وهو بعيد عني، عرفت ذلك من خلال تصرفاته واصراره على أن اكون دائماً بقربه وحديثه المتواصل والمستمر عن الموت والارث ويذكرني بأصلي وعرقي وجذوري، يذكرني دائماً بجذوري ويدفعني ويشجعني على الحفاظ عليها وعدم نسيانها وهجرها"[23].

ان اثبات الذات، والثقة بالنفس من أهم سمات الشخصية السوية، التي تحافظ على هويتها من الضياع والتشتت، واذا فُقِدت هذه الأقانيم أصبحت الهوية متشظية في حدود الذات، وهذا الامر يقودنا إلى شعور الشخصية بالدونية والنقص، وانعدام الثقة بالنفس، ومن ثم حصول التناقض في الحفاظ على الهوية الأصلية، وبين اكتساب هوية جديدة ؛ لأن" منطلق المتعصب البدائي هو الشعور بالدونية، وعدم احترام الذات فإن من الطبيعي ان يفتقر المتعصب للشعور باحترام الآخرين، وباحترام الحياة التي يحيونها، وبالتالي فإن كره الحياة هي سمة المتعصبين

عبر الأزمان"[24]، وتأسيساً على هذا الرأي نرى محاولة الشخصية في هذه الرواية ان يكون مدنياً وان يبتعد عن بداوته، ولكنه يقع بالتناقض والشعور بالدونية، فهو عندما يكون في المدينة يتصرف وكأنه من اهلها، ولكنه في نفسه يشعر بعدم الانتماء وفقدانه لهويته، أما عندما يرجع إلى البادية، وإلى الصحراء فأنه يتظاهر أمامهم بأنه افضل واحسن منهم في كل شيء، ويرغب بالتفرد والتميز، والتفوق عليهم، وانه لا ينتمي لهذا المكان، وهذا هو التناقض الكبير الذي وقع فيه هلال يقول:" ذهبت بعدها إلى البادية، عدت لها، استقبلوني باحتفال رسمي، لقد تغير تعاملهم معي عن قبل، لم أعد هلالاً الذي تركهم منذ ثمانية شهور، بل أصبحت انساناً آخر، ليس انساناً يعرف فقط القراءة والكتابة بل يعرف القانون وسيكون محامياً، والعيش في بغداد"[25].

ان هذا الأمر جعل من هلال شخصاً ينتابه الخوف والقلق، فعندما يكون في المدينة وبعيداً عن أهله يشعر بالخوف والقلق ولذا فهو يعزل نفسه عن الناس عند ذلك نرى تراجع الثقة بالنفس، والشعور بالدونية، وتناقض الهوية فهي" وعي الذات في اطار الخريطة الاجتماعية والوجودية التي تشمل الآخرين من البشر. المحيط غير الآمن يكسر الثقة بالنفس ويحطم جدوى الاعتراف، ويمزق نسيج الهوية، ان المرء لا يمكن ان يكون نفسه مع شروط متدنية للحياة الكريمة، أي انه لن يتطابق، عندئذٍ، مع جوهر هويته الإنسانية"[26].

يقول هلال واصفاً مشاعره بعدما رجع إلى أبيه وشعوره بالأمان" فتحت ذراعي ووضعت رأس أبي على صدري وبدأت بتقبيله، ضممته إلى صدري، شعرت بالأمان، شعرت بالدفء، عندما أكون في بغداد أو خارج القطر غالباً ما استيقظ على كوابيس مزعجة، أحس باختناق في صدري، أما هنا فلا، يكون نومي هادئاً ولا تعتريني أي كوابيس"[27].

رفض الهوية:

تناول المفكر والأديب العراقي سعد محمد رحيم في كتابه (صراع الدولة والجماعات في العراق) موضوع الرثاثة في الثقافة والهوية، وانعدام وانحطاط وقلة الذوق، وتدني معايير الجمال في النظر للذات وللآخر وللعام، وان ارتباط هذا الأمر يعود إلى جانب نفسي عند الفرد، فانعدام الثقة بالنفس، وتقليل المرء من ذاته وامكانياته على حساب تقدير الآخرين، هي عوامل تؤدي إلى الانكسار، والفشل ورفض الذات أي رفض الهوية، عند ذلك تصبح الهوية منحطة ومتدنية، ومرفوضة عند الفرد، فالرثاثة في الثقافة والهوية مرتبطة" بتضاؤل تقدير المرء لذاته، حين يكون الاعتراف في المحيط الاجتماعي ضعيفاً أو معدوماً، وحين تتضاعف مشاعر الانكسار والهزيمة والفشل"[28].

وفي روايتنا هذه نجد مظاهر رفض الهوية عند الشخصية واضحة وجلية، وانها موجودة منذ الطفولة، فهو يرفض ذاته، ويقلل من شأن تقدير اصله، إذ يروي لنا هلال حادثة وقعت له منذ ان كان طفلاً وتركت أثراً في جسده، وصارت تلك الندبة تذكره بأصله كلما رآها، وكأن القدر يريد منه ان يبقى اسير نفسه، وان التحرر من هذه القيود يكون برفض انتمائه لأصله وبداوته، يقول:" كم ذكرتني هذه الندبة بأصلي، كلما أراها عندما أطيل النظر في المرآة... تذكرني هذه الندبة في اصلي قائلة لي....... لا تنسى أبداً انك بدوي ومهما لبست ومهما تقلدت من مناصب رفيعة فأنك بدوي، ولابد للقمر من العودة الى عرجونه القديم"[29].

ان لحظات تشظي الهوية، ورفضها حدثت في الموقف الأول للشخصية عندما رحل من البادية وشاهد المدينة لأول مرة، عند ذلك تمنى هلال التجرد من هويته والانتماء إلى هوية جديدة ان ينتمي للمدينة، فهو يصف لنا مشاعره بشكل واضح وصريح قائلاً:" اريد ان اعيش مثلهم، اريد سياراتهم وملابسهم، اريد اخراج نصف جسمي من شباك السيارة ولكن ليس في ملابسي هذه، اريد أن ألبس مثلهم، واعيش حياتهم، واكون واحداً منهم، كرهت الصحراء والبداوة، اريد ان أكون مدنياً، اريد، اريد ان اكون أي شيء، كل شيء..."[(30)]، ان مثل هذه الرغبات والأمنيات هي كثيرة في الرواية وواضحة عند الشخصية فهو يؤكد على رفض الذات والانتساب إلى الاخر وهذه هي الرثاثة في معايير الثقافة عند الافراد فالكثير منهم يرفضون ذواتهم وأصلهم، ويتخذون من المجتمع الجديد هوية لهم، وفي أحد المواضع يصرح هلال بعدم رغبته في الانتماء للبداوة ورفضها ونفوره منها، وبالمقابل رغبته في الانتماء للمدينة واكتساب هوية جديدة يقول:" عندما مررنا في سوق البلدة ورأيت المدنيين لم أعد ارغب بمصاحبة البدو، أردت أن يكون لي اصحاب من المدينة حتى أولاد عمي فقد فترت علاقتي بهم نوعاً ما، وأصبحت لدي احلاماً أكثر من السابق، حلمت بأنني مدني، اعد الأيام والليالي لليوم الذي سأنتقل فيه إلى بيت عمتي في المدينة، تقت للعيش هناك، صممت على ان أتعايش معهم منذ يومي الأول واقتبس عاداتهم وتقاليدهم واطبقها لكي انجح في اكون انساناً حضرياً"[(31)].

ان الخوف من مواجهة الناس، والانكفاء على الذات، من أبرز سمات تشظي الهوية، ورفضها عند الشخصية، ويتجلى هذا الأمر بموقف هلال عندما رغب بتغيير اسمه واسم أبيه من أجل الحصول على وظيفة جديدة في مكان مهم، ان هذا الموقف يعد من أهم المواقف في رفض الشخصية للهوية والحالة التي وصل إليها وهذا ما أشرنا إليه سابقاً في موضوع الرثاثة وتدني معايير الاخلاق والجمال عند الافراد ومن ثم ضياع هوية الافراد ورفضهم لذواتهم،" يا لها من مبادرة مخزية وخجلة، أردت يوماً تغيير اسم أبي، لم أبِرَّ بأبي يوماً، أنا لست مثقفاً.... لو كنت مثقفاً لأصبحت لدي الشجاعة لمواجهة الناس"[(32)].

الخاتمـــــــــة:

بعد انتهاء بحثنا توصلنا إلى نتائج مهمة أهمها:

- تداخل مصطلح الهوية بين المفاهيم الفلسفية والنفسية، والثقافية والاجتماعية، وهذا التداخل هو أساس عملية التناقض، والاختلاف والغيرية في مفهوم الهوية، وهي سمة من سماتها الأساسية، وبدونها تصبح الهوية فاقدة للانتماء.
- أصبحت الهوية نسقاً اجتماعياً بارزاً في المجتمع، سواء أكانت مضمرة أم ظاهرة، وهي ذات مدلول لغوي وثقافي تحدد هوية أي مجتمع من المجتمعات.
- ان خطاب الهوية في المجالات الثقافية قائم على مبدأ الضدية والاختلاف، والتناقض بين الآنا والآخر، لذا وجدنا حصول عملية التناقض في تصرفات الشخصية ومن ثم أدى إلى حدوث صراع نفسي حاد لدى البطل.

- وجدنا ان الهوية قد تتشظى وتنشطر عندما يفقد الفرد ثقته بنفسه، ويشعر بالنقص وعدم الانتماء، وهذا ما حصل لشخصية هذه الرواية من تغييرات كبيرة سواء أكان بالمظهر الخارجي له أم تعبيرات داخلية أثرت على نفسيته ومن ثم حصول ظاهرة التشظي.
- رغبة الشخصية في رفض الذات وعدم الانتماء للهوية الأصلية، وبالمقابل رغبته في الانتماء إلى الآخر وتقمص دور الانسان المتحضر الذي كان العامل البارز في تشظي الهوية وانشطارها.

الهوامـــــــش

---

[1]- الهوية والزمان، تأويلات فينومينولوجية لمسألة" النحن"، فتحي المسكيني، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط1، آب اغسطس 2001: 6-7.
[2]- ينظر نفسه: 7-8.
[3]- نفسه: 9.
[4]- نفسه: 11.
[5]- بول ريكور... الهوية والسرد، حاتم الورفلي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2009: 31.
[6]- ينظر: القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، عبدالله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط3، 2011: 45.
[7]- نفسه: 34.
[8]- نفسه: 38.
[9]- ينظر: نفسه: 38.
[10]- الهوية والحرية نحو انوار جديدة، فتحي المسكيني، جداول للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 2011: 16.
*) ينظر: النقد الثقافي، مقدمة نظرية وقراءة في الانساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط3، 2005: 215.
[11]- ينظر: القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة: 51.
[12]- ينظر: نفسه.
*) الرواية صادرة عن دار ميزوبوتاميا، بغداد – العراق، الطبعة الاولى 2014م.
[13]- الثقافة والامبريالية، ادوارد سعيد، ت: كمال ابو ديب، دار الآداب بيروت، ط2، 1998: 119.
[14]- الهوية والسرد: 24.
[15]- الرواية: 13.
[16]- نفسه: 14.
[17]- ينظر: القبيلة والقبائلية: 47.
[18]- الرواية: 8-9.
[19]- نفسه: 12.
[20]- الرواية: 146.
[21]- نفسه: 158.
[22]- نفسه: 220.
[23]- نفسه: 168.
[24]- صـراع الدولة والجماعات في العراق، السـياسـة، الثقافة، الهوية والعنف، سـعد محمد رحيم، دار سـطور للنشـر والتوزيع، بغداد – العراق، ط1، 2015: 91.
[25]- الرواية: 221.
[26]- صراع الدولة والجماعات في العراق: 186.
[27]- الرواية: 222.
[28]- صراع الدولة والجماعات في العراق: 178-179.
[29]- الرواية: 47-48.
[30]- نفسه: 82-83.
[31]- نفسه: 109.
[32]- نفسه: 241.